



نقسم بالله العظيم
مسلمين ومسيحيين
ان نبى موحدين
الى ابد الابد
دفاعاً عن لبنان العظيم
عشتم و عاش لبنان

جبران تويني

يومية ، سياسية ، مستقلة

النهار

الأحد 26 تشرين الأول 2008 - السنة 76 - العدد 23512

النهار في اسبوع

ارشفيف
النهار

ابحث في هذا العدد

ابحث متقدم

اجعل النهار صفحتك الأولى

النهار Album | Podcast | RSS | Widget | Mobile | مختاراتي

التحقيقات
تكميلاً

18:37 - القوات اللبنانية" أحييت ذكرى
أربعين شهيداً في حادثة بصرما ببيت اسحق



المزيد من عناوين

التاريخ الأليم والسلام
السياسي على الشواطئ
المرجانية

موقع "لغة الشعوب"
يتكلم بالصورة الصحافية
من أنحاء الارض
كلها ... وداعاً للرقابات
والقيود!

+

حميد فرنجيه في ذكريات المطران يوسف محفوظ (4 من 4)

تقاعد الزعيم الكبير في سن مبكرة نتيجة مرض لكن العشب لم ينبت على طريق
منزله
اطلق فكرة الرابطة المارونية وشهامته منعت من الاقتراع لابنه ضد ابن اخيه!



حميد فرنجيه في مكتبه يطلع ويكتب. بصوت في البرلمان بين نقولا سلام وبيار ادر.



مع الكاردينال روتنلي، والبابا بوحنا الثالث والعشرين. مع بعض مؤيديه في بلدته زغرتا.



المطران يوسف محفوظ. مع النائب ابراهيم حيدر.

غاب الزعيم الوطني الكبير حميد فرنجيه منذ أكثر من ربع قرن، لنتبقى ذكراه عند من عرفوه وعاصروه وظلوا يأبون التسليم بانقضاء الزمن، وهم ينظرون اليه ببعده الحقيقي، الزعيم الوطني التنظيف الكف، رجل المحادثات الناجحة والنظرة الثاقبة والمواقف السلمية والسلام الاهلي والعيش المشترك، الذي اصبح في نظرهم أقرب الى مفهوم الرمز منه الى مفهوم الرجل السياسي. ومن الذين عرفوه عن قرب وأمنوا بشخصه ونهجه وصفاته المطران يوسف محفوظ، الراهب اللبناني الماروني ومطران البرازيل سابقاً، الذي كلما عصفت بلبنان رياح عاتية تحوّل "حميد بك" في نظره أملاً مفقوداً وفردوساً ضائعاً. التقته "النهار" وسألته بعض ما يعرفه عن الوطني الكبير الذي رفع مستوى الحياة البرلمانية في تاريخ لبنان السياسي المعاصر، فكانت هذه الشهادة:

"لم يكن حين 1957 مريحاً بالنسبة الى لبنان وحميد فرنجيه. فقد زار القاهرة قبل 23 تموز 1957 بدعوة من الرئيس المصري جمال عبد الناصر لحضور الاحتفال بذكرى الثورة. وتطرق معه الرئيس المصري الى مشروع الوحدة المزمعة بين مصر وسوريا واليمن، فعارض حميد فرنجيه الفكرة، معتبراً ان هذه الوحدة سابقة لاوانها ومنضوية على ازمات محتملة. وقد برهنت الايام اللاحقة صدق توقعاته. وعلى الصعيد الداخلي اصبح حميد بك زعيم المعارضة، بعد انتخابه امينا عاماً لجبهة الاتحاد الوطني، فرفض في حينها منح الثقة لحكومة سامي الصلح الجديدة والتي تسلم فيها الدكتور شارل مارك وزارة الخارجية، هذا في وقت كان فيه

النهار اليوم

- الرئيسية
- محللات سياسية
- اقتصاد مال واعمال
- عرب وعالم
- قضايا النهار
- قضاء وقدر
- مقالات
- منبر
- مقسم 19
- مذاهب واديان
- تحقيق
- مناطق
- بيئة وتراث
- مفكرة
- ادب فكر فن
- مدنيات اجتماعيات
- ابراج
- تربية وشباب
- وفيات
- اعلانات مبوبة
- وظائف شاعرة
- رياضة
- حول العلم والعالم
- كاريكاتور

مجلة الاحد

تحقيقات

- كوميبيوتر وانترنت
- النهار الرياضي

الملاحق

- الملحق الثقافي
- نهار الشباب
- الدليل

خدمات

- بريد النهار
- ارشفيف النهار
- تسليمية

استعلامات

- من نحن
- الى النهار
- اسعار الاعلانات
- اتصل بنا

"النهار" مؤسسها 1933:
جبران تويني

الناشر 1999-1948 :

عُصمان تويني

رئيس مجلس الإدارة :

جبران تويني 2005-2000

عُصمان تويني 2006

رئيس التحرير :

فرانسوا عقل

رئيس التحرير التنفيذي :

أدمون صعب

الصراع الاقليمي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يزداد تفاقماً، وكانت سوريا احدى ابرز النقاط المهمة التي كان يدور حولها هذا الصراع وبالتالي التهديدات المتبادلة بين الطرفين. ولم يكن مجيء المبعوث الاميركي الجديد الى الشرق لوي اندرسن الا ليزيد الوضع توتراً. وكان لهذا الصراع انعكاساته الخطيرة على لبنان. بدأ حميد بك يشعر في ذلك الصيف، ولاسيما بعد حادثة مزارية بأنه اصبح مذهوك القوى، فلم يعد يتحمل فكرباً وجسدياً، رغم صلابته، هذه الأجواء المشحونة. ففي صباح 2 تشرين الأول من العام 1957 انفجر بشكل مفاجيء الشريان السباتي في عنقه، مما دفع بطبيب العائلة الدكتور صهيون الى نقله الى مستشفى الجامعة الاميركية في بيروت. وبما ان الاختصاصات الطبية كانت آنذاك في لبنان قليلة او شبه نادرة، فضلاً عن افتقار المستشفيات الى الآلات الضرورية لمعالجة مثل هذه الحالات الدقيقة الطارئة، تقرر استدعاء ثلاثة اطباء من ذوي الاختصاص في هذا المجال، من باريس ولندن ونيويورك، بينما أمر كل من الرئيسين ايزنهاور وخروتشوف فريقه الطبي الخاص بالاستعداد للتوجه الى بيروت، اذا لزم الامر.

كان الطبيب الفرنسي اول الأثنين، وبعد المعاينة قرر عدم اجراء عملية جراحية بل اخضاع حميد بك لعلاج يداوم عليه فترة زمنية يتحسن خلالها تدريجاً ليعود الى حالته الطبيعية، وعاد الطبيب الى بلاده. اما الطبيب البريطاني، فبعد اجراء الكشف امر بأجراء عملية جراحية مستعجلة، فوقع الدكتور صهيون وزوجة حميد فرنجييه السيدة برت في حيرة، غير انهما عادا ورضخا للأمر الواقع امام اصرار الطبيب. وخلال الاستعدادات وبدء اجراء العملية وصل الطبيب الاميركي، وعندما اطلع على الامر قال: "كيف تقدمون على اجراء عملية دقيقة وخطرة في غياب المعدات اللازمة؟ عليكم بنقله فوراً الى لندن".

هذا من دون ان يخفي معارضته لاجراء العملية كما قال الطبيب الفرنسي. ونقل حميد فرنجييه الى لندن ليغادر غرفة العمليات، وهو مصاب بشلل في الجهة اليمنى. هل لعب القدر لعبته القدر مسطراً بحروفه السوداء المستقبل السياسي لأبرز زعيم افرزته السياسة اللبنانية في القرن العشرين؟ هل ما كتب لحميد فرنجييه مجرد مصادفة؟ ام هناك امور اخرى... ما زالت كامنة وراء الكواليس او تلاشت واطمحت في مخابىء الأيام؟

تقاعد ميكر

اشارة الى ان ما حدث لحميد فرنجييه اصاب الرئيس الاميركي ايزنهاور في العام 1960، فلم يخضعه الاطباء الاميركيون لعملية جراحية بل لعلاج لمدة ثلاثة اسابيع غادر بعدها المستشفى معافي تماماً ليتابع نشاطاته كما كان في السابق، وبقي الى آخر يوم من عهد رئاسته. هذا ما حدث بعد مرور ثلاث سنوات على حادث حميد فرنجييه، فالطبيب الفرنسي والاميركي كانا على صواب. لكن السيدة برت لم يتأس، فتوجهت بزوجها الى باريس لاختضاعه للعلاج الفيزيائي، أملة في ان يتعافى بعد اشهر عدة. لكن حميد فرنجييه ظل مصاباً بشلل جزئي، اي في الجهة اليمنى، بينما ظلت الجهة اليسرى سليمة، ولاسيما يده التي كانت تسمح له بقضاء حاجاته ومن بينها لعب الطاولة في ما بعد مع الاصدقاء، ومن بينهم شقيقي الخوري الياس.

عاد فرنجييه الى لبنان في اوائل الستينات وهو يقوى على السير ولكن بموازرة عكاز. ظل لفظه واضحا رغم خفوت صوته وعندما كان يثيره امر ما يتعثر الكلام في فمه. اما الذاكرة فظلت حادة، الى درجة انه ظل يتذكر الارقام والتواريخ والاشخاص وكأنه في عمر الشباب. وعندما كنت ازوره كنا نجلس طويلاً منطوقين الى مواضع شتى، ولاسيما ذكريات المرحلة التي عاشها كل منا في فرنسا.

وظل حميد فرنجييه متديناً يمارس واجباته الدينية على اكمل وجه كما كان في السابق. وقد سمح راعي ابرشية بيروت المارونية آنذاك المطران اغناطيوس زيادة لشقيقي الخوري الياس بأن يحتفل بالذبيحة الالهية في منزل فرنجييه ساعة يشاء الاخير.

تقاعد الزعيم الكبير والوالد العطوف على عائلته التي كان يفتخر بها. تغيرت مجريات حياته، فكم من مرة كان يعود الى المنزل ويجلس مع زوجته واولاده الستة الصغار يداعبهم ويمزحهم، رغم انشغاله الدائم بالقضايا السياسية والنيابية والوزارية والاتفاقات الدولية. كما كانت زوجته السيدة برت البطلة، نعم البطلة، تسهر على راحة اولادها وترافق زوجها في السراء والضراء بأمانة واخلاص ولاسيما بعدما اقعده المرض اعواماً طويلة، ظلت معه وبقربه، لم تتقاعس يوماً عن اداء واجباتها مؤمنة له كل ما يرتاح اليه وما يسره وما يفيد. كانت زوجته وملاكه الحارس في الليل والنهار على مدار السنة، وانا شاهد عيان على ما كانت تقوم به من واجبات نحوه، واستقبال كل من يزوره ويتردد اليه، بابتسامة ورحابة صدر. ومعاملتها له جعلته يتحمل مرضه بصبر، اذ لم تفارق الابتسامة يوماً شفثيه وظل وجهه دائماً وضاحاً.

وفاء اقوى من السياسة

ظل حميد بك على هذه الحالة حوالي ربع قرن مقبلاً مع عائلته في شارع المتحف في بيروت من دون ان تنقطع علاقاته بأحد. لم يذبت العشب على طريق المنزل الذي ظل مفتوحاً لجميع الزائرين، وما كان اكثرهم كانوا يأتون من المناطق كلها، بحيث كنا نجد في هذا البيت صورة مصغرة عن لبنان، بتعدده وغناه ومشاكله. الا ان هذه المشاكل كانت تعالج في هذا المنزل بروح مختلفة عن تلك السائدة في موضع آخر، لأن الكل كان يعرف ان لا مجال فيه للحجج الطائفية. بقي حميد فرنجييه كما كان قبل اصابته، الزعيم الوطني الذي يحظى باحترام الجميع. ففي اعياد الاستقلال والميلاد ورأس السنة والفصح، ولاسيما في اليوم السادس من شهر آب يوم عيد التجلي الذي تصادف فيه ذكرى ولادته، كان معظم اعضاء مجلس النواب وجميع زعماء بيروت ووجهاتها من مسلمين ومسيحيين يؤمنون دارته لتهنئته. ومن بين الذين زاروه في احد اعياد الاستقلال خصمه السياسي الدكتور شارل مالك، كما كان هناك سياسيون معارضون في الماضي ثم جاؤوا يعترفون بصحة مواقفه. ظلت ايضاً تربطه صداقات حميمة بعدد من الشخصيات الاسلامية سواء في بيروت او صيدا او طرابلس وغيرها. وكان يقصده ايضا الاصدقاء، اولئك

الذين كانوا يأبون التسليم بانقضاء الزمن ومن بينهم ثلاثة من رجال الكنيسة، مثاليين في صداقتهم واخلاصهم: المونسنيور يوحنا مارون والاب عبدالله داغر وشقيقي الاب الياس محفوظ، فكان فرنجييه يلتقيهم جميعاً بالفرح ذاته.

وهو ظل على اطلاع يومي على مجريات الحوادث يطالع الصحف ويتدبّر نشرات الاخبار المساندة، فيحفل بالأحداث مؤيداً حيناً ومعارضاً أحياناً أخرى، مبدياً رأيه من دون أن يخفي الحلول التي يطرحها من خلال عقل نير وبصيرة نافذة. وأذكر عندما عُيّن شقيقه سليمان وزيراً للدخالية في الحكومة التي ستشرف على الانتخابات النيابية في العام 1968 في عهد الرئيس شارل حلو، كان الصراع في حينها محتدماً لاسيما في جبل لبنان بين الحلف الثلاثي الذي كان يضم احزاب، الكتائب والوطنيين الاحرار والكتلة الوطنية من جهة والنهج الشهابي الذي كان يتمثل بالجهة الديموقراطية البرلمانية وحلفائها، من جهة ثانية، فاتصل حميد فرنجييه بمدير الامن العام آنذاك محمود البنا قائلاً له: "اتمنى ان تبلغ أخي سليمان بأن لا يتزحزح عن مبادئه، وأن يملأ مركزه ويتصرف كرجل دولة وأن يكون حيادياً مترفعاً بعيداً عن كل التجاذبات في هذا الظرف الدقيق". علماً ان الوزير سليمان فرنجييه كان ينتمي مبدئياً آنذاك مع صائب سلام وكامل الاسعد الى ما كان يسمى بتكتل الوسط المناهض للشهابية وأجهزتها. وليلة اعلان نتائج انتخابات جبل لبنان، التي حصد فيها الحلف الثلاثي اكثرية المقاعد، ولاسيما في كسروان حيث منيت الشهابية بهزيمة في عقر دارها، توجه حميد فرنجييه من دون موعد، رغم اشتداد المرض الى داره الرئيس الاسبق فؤاد شهاب في جونية. ولتعدّد نزوله من السيارة، ارسل الى الرئيس بطاقة مع أحد الجنود المولجين حماية المنزل تنبئ به حضوره. فاسرع الرئيس لموافاته في السيارة، فيبادره حميد فرنجييه: "يا فخامة الرئيس مهما جارت عليك الايام ودارت دواليب السياسة، فحميد فرنجييه باق الى جانبك، وسيفيق كما كان في الماضي". فما اجمل الوفاء وحده ينتصر على السياسة والمكاسب الفردية والوجوه المقتعة.

"هذا ابني... وذاك ابني"

ثمة حادثة اخرى تدل على شهامة حميد فرنجييه وترفعه. فبعد انتخاب نائب زغر تا سليمان فرنجييه رئيساً للجمهورية في 17 آب من العام 1970، كان لا بد من اجراء انتخابات نيابية فرعية لملء المركز النيابي الشاغر، فرشح رئيس الجمهورية نجله طوني بينما رشح حميد فرنجييه نجله قبلان، فاحتدمت معركة البيت الواحد. وبعد حلول موعد الانتخابات توجه حميد فرنجييه الى زغر تا برفقة زوجته برت للادلاء بصوتيهما. ولما ترجلا من السيارة امام مركز الاقتراع التفت حميد فرنجييه الى زوجته قائلاً: "ماذا نحن هنا يا برت، هذا ابني وذاك ابني! فلنعد الى البيت"، وقللاً عاندين من دون أن يقرّعا.

كان حميد فرنجييه كبيراً وشهماً ومتواضعاً في آن واحد. كان النزيم اللبناني شبه الوحيد الذي يرفض توجه انصاره الى مطار بيروت لملاقاته واستقباله بأعداد كبيرة ثم مواكبته الى مسقط رأسه وذلك بعد عودته من الخارج. فكان يدخل صالون الشرف منتظراً مجيء سائقه لاصطحابه في سيارته الخاصة بكل بساطة الى منزله في بيروت. كما كان يرفض الاستقبالات الشعبية الحاشدة والمهرجانات الشخصية خارج بلدته. لقد احترمه الجميع لأنه كان يحترم الجميع، رغم انه عند الضرورة لم يكن يوفّر أبداً بنظراته الغاضبة وكلماته الحادة والمهذبة، كل من لم يكن سالكاً الطريق الوطني المستقيم. وذات يوم، قيل له إن ثمة من سيقترح اطلاق اسمه على جادة جميلة في بيروت، فرفض رفضاً قاطعاً، مثلما سبق له أن رفض تلقي أي وسام لبناني.

الرابطة المارونية

ويعتبر حميد فرنجييه مطلق فكرة انشاء "الرابطة المارونية". فعندما اصبح البطريرك عريضة عاجزاً عن القيام بمسؤوليته، بسبب تقدمه في السن وتعرضه لوعكة صحية لازم بعدها الفراش، عُيّن الفاتيكاني لجنة اسقفية لتدبير شؤون الطائفة، برئاسة المطران بولس المعوشي وعضوية المطرانين بطرس ديب وعبدالله خوري. يومها توجه الى بكركي وفد من اعيان "الكتلة الوطنية" و"الكتلة الدستورية" ليشرح على اللجنة الرسولية المذكورة فكرة انشاء مجلس ملى للطائفة المارونية على غرار الكنائس الملكية. نوقش الموضوع بجدية من النواحي المختلفة حتى توقف البحث عند نقطة مهمة وهي أن المارونية لم يكن عندها يوماً مجلس مماثل. عندئذ انبرى حميد فرنجييه طارحاً انشاء رابطة مارونية علمانية متعلقة بالصرح البطريركي لتسانده في الامور المختلفة لاسيما السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهكذا ولدت فكرة "الرابطة المارونية" في لبنان واعترفت بها الدولة اللبنانية ولا تزال قائمة. والفضل يعود الى حميد فرنجييه صاحب الرأي السديد.

المشوار الاخير

لم يغادر حميد فرنجييه وعائلته الشطر الغربي من العاصمة طوال الحرب اللبنانية التي اندلعت في نيسان من العام 1975. تلك الحرب وما جرّته من ويلات وانقسامات كانت بالنسبة اليه كارثة بل ضريبة مؤلمة. إذ تأكد له، وهو الذي قاد معاركه من أجل بناء وحدة اللبنانيين، أن ما كرّس له حياته وطاقته قد تلاشى. ومما قاله لانجاله والمقربين منه: "لا تحاولوا أن تعيدوا لصاق أجزاء الماضي، فسيكون على جيلكم أن يحلّ من جديد مشكلة إعادة توحيد اللبنانيين، وعليكم أنتم أن تجدوا الوسيلة المناسبة لذلك".

ربع قرن من الزمن تبّت عظمة حميد فرنجييه الحقيقية، تلك التي اكتسبها من المرض والشدة والألم. وقد أكد ايضاً أن الألم يبقى اقصر طريق يهدي الانسان الى خالقه. وفي 5 ايلول من العام 1981، توفي حميد فرنجييه والحرب اللبنانية مشتعلة، وقيل أن يشهد انهيار الليرة اللبنانية ليرته. فاتصلت السيدة برت بي وبشقيقي الخوري الياس. فتوجهنا فوراً الى منزله في بيروت الغربية آنذاك. وبعد تلاوة الصلاة، اضطر شقيقي الى العودة الى المنزل، لأنه كان يشكو من آلام حادة إثر تعرضه لحادث اصطدام. فكان عليّ اذا ان أقوم بما يتطلبه الظرف بالنسبة

التي ونيابة عنه. فراققت الجثمان من المنزل التي كنيسته مار شربل في محيط الأونسكو حيث احتفلت مع الأب عبدالله داغر بالذبيحة الالهية وسط حشد كبير يتقدمه المطران نصرالله صفيير ممثلاً البطريرك الماروني انطونيوس بطرس خريش، وبتطيرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس حكيم وراعي ابرشية بيروت المارونية المطران اغناطيوس زيادة وبعض الكهنة.

بعد الصلاة توجهنا في موكب كبير الى إهدن، وبناء على طلب من العائلة لازمت جثمان حميد فرنجيه في السيارة المعدة له. يومها فرجنت ونحن نجوب شوارع بيروت المنقسمة، بالجموع الكبيرة التي احتشدت يوم وفاته. لازم حميد فرنجيه منزله خمساً وعشرين عاماً، فمن الطبيعي أن ينساه الجميع.

ذكرتنا تلك الحشود بحميد بك الاربعينات والخمسينات، وكأنه توفي فجأة وهو في القمة، فمسلمو بيروت قاموا بكل ما يمليه عليهم الواجب عند مرور الموكب، وكذلك الزعيم وليد جنبلاط الذي وضع كل طاقاته تكريماً للراحل الكبير. وعندما مررنا في الاثرافية جعلتنا المظاهر التي اقامها الشيخ بيار الجميل، نشعر وكأن حميد فرنجيه حي بيننا. وتوالت الاستقبالات على طول الطريق المؤدية الى الشمال، في جونيه وجبيل والبترون وسائر البلدات الساحلية. اثبتت ردود فعل اللبنانيين أنهم لم ينسوا حميد فرنجيه، وقد جاء حزن عامة الناس، بصدقه وعفويته، ليذكر من خائته الذاكرة بأن الجميع كانوا يعترفون يومذاك بأن الطريق التي سلكها حميد فرنجيه طوال حياته السياسية كانت بالضبط طريق الوفاق والتقدم والخلاص.

ولما وصلنا الى جسر المدفون رافقتنا في السيارة ضابط من آل فرنجيه، ثم انطلقنا الى إهدن مروراً بالبلدات والقرى الشمالية التي تجمهر ابناءها على طول الطريق ليودوا التحية الاخيرة للراحل الكبير. وعندما بلغنا ساحة إهدن، حيث كان الرئيس سليمان فرنجيه في انتظارنا وسط حشود هائلة والدمع في عينيه، تجلّت من السيارة، وبعدما تعانقتا، تسلّم الاهالي نعش زعيمهم الكبير الذي لُفّ بالعلم اللبناني، ورفعوه على الأكف. في تلك اللحظة تذكرت ما كتبتّه إحدى الصحف يوم تشييع الرئيس فواد شهاب صديق حميد فرنجيه، في نيسان من العام 1973: "الحمل ثقيل على فتيان المدرسة الحربية، ففي النعش جبل من لبنان"، وفي ذلك اليوم كان أبناء زغرنا والجوار ينوءون تحت حملهم الثقيل لأن في النعش جبلاً آخر من لبنان.

حميد بك فرنجيه ابن لبنان وابن البطريركية المارونية، كان في حياته أرزة شامخة وبعد مماته لا يزال أرزة خالدة. أجل هكذا يعيش الرجال العظام وهكذا يموتون. وكأني بلبنان اليوم يقول لنا: "هؤلاء هم ابناي، فأتوني بمثلهم".

د. شارل رزق الله





